

## الاتجاهات الكلاسيكية في الأنثروبولوجيا

### أ. المدرسة التطورية (Evolutionism)

ظهرت المدرسة التطورية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، متأثرةً بأفكار تشارلز داروين حول التطور البيولوجي، إذ حاول علماء الأنثروبولوجيا تطبيق مبدأ "التطور من البسيط إلى المعقد" على الثقافات والمجتمعات البشرية. يُعد إدوارد بيرنت تايلور (E. B. Tylor) ولويس هنري مورغان (Lewis Henry Morgan) من أبرز رواد هذا الاتجاه. فقد رأى تايلور أن كل المجتمعات تمر بمراحل متعاقبة تبدأ من "الهمجية" وتنتهي إلى "التحضر"، مؤكداً أن الثقافة تتطور وفق قوانين عامة يمكن دراستها علمياً. **الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات، وأي قدرات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع** - إدوارد تايلور، 1871، أما مورغان، فقد وضع تصوراً لمراحل تطور المجتمع الإنساني من خلال دراسته لقبائل الأمريكيين الأصليين، حيث قسّمها إلى ثلاث مراحل رئيسية: **الهمجية - البربرية - الحضارة**. رغم أن هذا الاتجاه أسس لعلم الأنثروبولوجيا الثقافية كنظام فكري، إلا أنه تعرّض لانتقادات حادة بسبب نزعاته العرقية الأوروبية (Eurocentrism)، إذ كان يرى أن الثقافة الأوروبية تمثل ذروة التطور الإنساني، وهو ما اعتُبر لاحقاً رؤية استعلائية وغير علمية.

### ب. المدرسة الانتشارية (Diffusionism)

ظهرت المدرسة الانتشارية كردّ فعل على النظرة التطورية التي تفترض تطوراً مستقلاً لكل ثقافة. رأى أنصارها - ومن أبرزهم ج. إليوت سميث (G. Elliot Smith) وفريتز غريبنر - (Fritz Graebner) أن الثقافات لا تنشأ بمعزل عن بعضها، بل تنتشر وتنتقل من مراكز حضارية محددة إلى مناطق أخرى عبر التبادل والتأثير المتبادل. فقد اعتبر غريبنر أن هناك "دوائر ثقافية" أو **Kulturkreise**، تُعدّ بمثابة مراكز أولية تُصدر عناصرها الثقافية إلى شعوب أخرى. أما إليوت سميث فكان يرى أن معظم الإنجازات الحضارية الكبرى (كالزراعة والكتابة والعمارة) نشأت في مصر القديمة ثم انتقلت إلى بقية أنحاء العالم، ليست الثقافات كيانات مغلقة، بل هي نسيج من التأثيرات المتبادلة بين الشعوب - "فريتز غريبنر، وقد ساهم هذا الاتجاه في إبراز أهمية الاتصال الثقافي والاحتكاك بين الشعوب كمحرك للتطور الحضاري، لكنه تعرض للانتقاد لأنه قلل من شأن الإبداع المحلي واعتبر أن جميع الابتكارات جاءت من مراكز حضارية محددة.

### ج. المدرسة الوظيفية (Functionalism)

برزت المدرسة الوظيفية في أوائل القرن العشرين مع ظهور أعمال برونيسلاف مالينوفسكي (Bronislaw Malinowski) وألفريد رادكليف براون (A. R. Radcliffe-Brown)، كردّ فعل على النظريات التاريخية التي ركّزت على أصل الظواهر أكثر من وظيفتها. ركز مالينوفسكي على أن المؤسسات الاجتماعية لا يمكن فهمها إلا من خلال الوظائف التي تؤديها لتلبية حاجات الأفراد، مثل الحاجات البيولوجية والنفسية والاجتماعية. من وجهة نظره، كل عادة أو

: الاتجاهات و النظريات الكبرى في الانثروبولوجيا اولى جدع مشترك علوم اجتماعية الاستاذة بن شرط نجاه مؤسسة تُسهم في الحفاظ على تماسك المجتمع واستمراره. كل عادة أو مؤسسة تُخدم غرضًا محددًا في بنية المجتمع، فهي وسيلة لتلبية حاجات الإنسان وضمان استقرار الجماعة – ”مالينوفسكي، 1922

بينما رادكليف-براون فقد طوّر هذا المفهوم ليصبح أكثر تجريدًا، فبدلاً من التركيز على الفرد، ركّز على النظام الاجتماعي، معتبراً أن كل عنصر في المجتمع يؤدي وظيفة تساهم في الحفاظ على توازنه البنيوي، اذن الوظيفة كانت مؤثرة جدًا في تطوير مناهج العمل الميداني في الأنثروبولوجيا، وخاصة من خلال دراسة المجتمعات الصغيرة والمعزولة مثل جزر تروبرياندا.

#### د. المدرسة البنيوية (Structuralism)

تأسست المدرسة البنيوية على يد كلود ليفي-ستروس (Claude Lévi-Strauss) منتصف القرن العشرين، متأثرة بعلوم اللغة وعلم النفس التحليلي. اعتقد ليفي-ستروس أن وراء التنوع الثقافي الظاهر توجد بني عقلية ثابتة مشتركة بين جميع البشر، وهي التي تفسر التشابه المذهل في الأساطير والقراية واللغة بين شعوب مختلفة لا علاقة مباشرة بينها. العقل البشري يمتلك بني مشتركة تنعكس في الأساطير والقراية واللغة، فالثقافة ليست سوى ترجمة لهذه البني الذهنية ”كلود ليفي-ستروس، 1963، رأى ليفي-ستروس أن الإنسان يفكر وفق ثنائيات متعارضة مثل (الحياة/الموت، الطبيعة/الثقافة، الخير/الشر)، وهذه الثنائيات تُبنى عليها أنظمة الرموز والمعاني في الثقافات. و تُعد البنيوية محاولة لفهم المنطق الداخلي للثقافة، وليس فقط وصف مظاهرها، وقد أثرت بعمق في الفلسفة واللسانيات وعلم النفس.

#### خلاصة الاتجاهات الكلاسيكية

المدرسة	المنظور الأساسي	أبرز الأسماء	النقد الرئيسي
التطورية	تطور الثقافات من البساطة إلى التعقيد	تايلور، مورغان	نزعة عرقية وتبسيط مفرط
الانتشارية	انتقال العناصر الثقافية من مراكز حضارية	سميث، غرينر	تجاهل الإبداع المحلي
الوظيفية	تفسير الظواهر بوصفها تلبي حاجات المجتمع	مالينوفسكي، رادكليف-براون	إهمال التغير الاجتماعي
البنيوية	الثقافة نتاج بني عقلية مشتركة	ليفي-ستروس	تجريد مفرط وإهمال للتاريخ

#### 3. الاتجاهات المعاصرة في الأنثروبولوجيا

##### أ. الأنثروبولوجيا الرمزية (Symbolic Anthropology)

تُعد الأنثروبولوجيا الرمزية من أبرز الاتجاهات المعاصرة التي أعادت تعريف مفهوم الثقافة، حيث انتقلت من النظر إلى الثقافة كمجموعة من القواعد والممارسات، إلى اعتبارها منظومة رمزية ومعنوية يعيشها الإنسان ويُعيد إنتاجها عبر اللغة والطقوس والتعبيرات اليومية. قاد هذا الاتجاه كليفورد جيرتز (Clifford Geertz) وفكتور تيرنر (Victor Turner) في سبعينيات القرن العشرين. وقدم جيرتز تعريفه الشهير: “الثقافة هي شبكة من المعاني نسجها الإنسان بنفسه، والأنثروبولوجي يسعى لتفسير هذه الشبكة لا لاكتشاف قوانينها” Geertz, 1973.

: الاتجاهات و النظريات الكبرى في الانثروبولوجيا اولى جدع مشترك علوم اجتماعية الاستاذة بن شراط نجاه

أما فيكتور تيرنر، فقد ركّز على الرموز الطقوسية في المجتمعات التقليدية، ورأى أن الطقوس ليست مجرد أداء ديني بل لغة رمزية تعبّر عن التوترات الاجتماعية والانتقالات بين المراتب. كل ثقافة هي نظام معقد من الرموز التي يفسرها الإنسان ليبنى بها عالمه.”

**Turner, 1967**

وفي السياق العربي، يشير د. محمد الجوهري إلى أن "الرموز في الثقافة العربية ليست مجرد دلالات شكلية، بل تمثل بُنى ذهنية جماعية تُعبّر عن الهوية والانتماء." كما يرى عيسى الشماس أن دراسة الرموز الشعبية والدينية في المجتمعات العربية "تكشف عن البنية العميقة للوجدان الجمعي، وعن العلاقة الجدلية بين المقدس واليومي."

اذن تُسهّم الأنثروبولوجيا الرمزية في فهم المعاني الكامنة وراء السلوك الإنساني، لكنها تُنتقد لأنها تعتمد على التأويل الذاتي، ما يجعل نتائجها أقل قابلية للتعميم العلمي.

### ب. الاتجاه الماركسي الجديد (Neo-Marxist Anthropology)

جاء هذا الاتجاه كتجديد للفكر الماركسي في الأنثروبولوجيا خلال السبعينيات والثمانينيات، من خلال أعمال موريس غودلييه (Maurice Godelier) وإريك وولف (Eric Wolf)، ويركز هذا الاتجاه على تحليل العلاقة بين البنية الاقتصادية (علاقات الإنتاج والملكية) والأنظمة الرمزية والثقافية التي تشرعن هذه البنية. ويرى وولف أن الثقافة لا يمكن فهمها بمعزل عن النظام الرأسمالي العالمي الذي يربط جميع المجتمعات ضمن شبكة من التبعية الاقتصادية والسياسية: "لا يمكن فهم المجتمعات المحلية إلا ضمن النظام العالمي الرأسمالي" Wolf, 1982. أما غودلييه، فقد أوضح أن الأفكار والرموز ليست مجرد انعكاس للبنية الاقتصادية، بل لها استقلال نسبي يمكن أن يؤثر في إعادة إنتاج هذه البنية. في الثقافة، تتجسد المادة في الرمز، ويتحول الاقتصادي إلى دلالة" Godelier, 1977.

وفي الفكر العربي، قدّم عبد الله حمودي قراءة نقدية لهذا الاتجاه في كتابه الشيخ والمريد، إذ درس العلاقة بين السلطة الرمزية والبنية الاقتصادية في المجتمع المغربي، مبيّناً كيف أن الرموز الدينية تُستخدم لتثبيت علاقات السيطرة. كما يرى نادر كاظم أن "التحليل الماركسي للثقافة يكتسب معنى جديداً في السياق العربي حين نربطه بالاستعمار والهيمنة الثقافية"، مشيراً إلى ضرورة تحليل البنية الطبقية للثقافة العربية الحديثة.

### ج. الاتجاه ما بعد الحداثي (Postmodern Anthropology)

ظهر الاتجاه ما بعد الحداثي في الثمانينيات، في سياق نقدي شامل للمناهج الوضعية التي هيمنت على الأنثروبولوجيا لعقود. ويُعد كلٌّ من جيمس كليفورد (James Clifford) وجورج ماركوس (George Marcus) من أبرز ممثليه، خاصة من خلال كتابهما المشترك (1986) *Writing Culture*، وينطلق هذا الاتجاه من فكرة أن الأنثروبولوجي لا يستطيع أن يصف "الآخر" بموضوعية مطلقة، لأن النص الإثنوغرافي نفسه هو خطاب ثقافي محمّل بالسلطة والتأويل. الأنثروبولوجيا ليست علمًا محايدًا بل خطاب ثقافي عن الآخر Clifford, 1986. "الأنثروبولوجي لا يكتشف الثقافة بل يشارك في إنتاجها عبر السرد" Clifford, 1986.

يدعو هذا الاتجاه إلى الاعتراف بتعدد الأصوات، ودمج وجهات نظر المشاركين أنفسهم في عملية إنتاج المعرفة.

: الاتجاهات و النظريات الكبرى في الانثروبولوجيا اولى جدع مشترك علوم اجتماعية الاستاذة بن شرط نجاه  
وفي السياق العربي، ناقش سامي زبيدة فكرة "تمثيل الآخر" في الدراسات الغربية عن الشرق الأوسط، معتبراً أن كثيراً من الخطابات  
الأنثروبولوجية تُعيد إنتاج المركزية الغربية. كما يرى محمد الجوهري أن ما بعد الحداثة "تفتح الباب أمام كتابة أنثروبولوجية أكثر  
تواضعاً وإنسانية، لكنها تُعرض العلم لخطر النسبية المفرطة."

#### 4. الاتجاهات الناشئة في الأنثروبولوجيا

##### أ. الأنثروبولوجيا الرقمية (Digital Anthropology)

تشهد العقود الأخيرة تحولاً كبيراً في موضوعات الأنثروبولوجيا، إذ لم يعد "الإنسان" محصوراً في الجماعات التقليدية، بل أصبح  
يعيش في الفضاءات الرقمية التي تشكل جزءاً من تجربته اليومية. وفقاً لـ (Prehn et al. (2025)، تهتم الأنثروبولوجيا  
الرقمية بدراسة كيف تؤثر التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي في بناء الهوية، والانتماء، والطقوس الافتراضية. وفي هذا  
السياق، يرى عيسى الشماس أن "المجتمع الافتراضي هو استمرار للثقافة الواقعية بوسائل جديدة، حيث تُعاد صياغة الرموز  
والدلالات في الفضاء السيبراني."

##### ب. الأنثروبولوجيا الإيكولوجية (Ecological Anthropology)

تركز الأنثروبولوجيا الإيكولوجية على العلاقة الدينامية بين الإنسان وبيئته الطبيعية، وكيف تشكل النظم البيئية السلوك الاجتماعي  
والاقتصادي. يشير (Tang (2025 إلى أن الأنثروبولوجيا الحديثة بدأت تربط بين البيئة، والتكنولوجيا الحيوية، والأخلاق  
البيئية لفهم التفاعل الإنساني الشامل مع الطبيعة. ويرى د. محمد الجوهري أن المقاربة الإيكولوجية "تمنح الثقافة بُعداً بيئياً، يعيد  
للإنسان وعيه بعلاقته الكونية، بعيداً عن مركزية السيطرة التقنية."

#### 5. جدول مقارنة بين المدارس الأنثروبولوجية الكبرى

المدرسة	أبرز الرواد	الفكرة المحورية	نقدها الأساسي
التطورية	تايلور، مورغان	تطور الثقافة تدريجياً	مركزية أوروبا
الانتشارية	سميث، غرايبر	انتقال الثقافة عبر الاتصال	إهمال الإبداع المحلي
الوظيفية	مالينوفسكي، رادكليف	توازن البنية الاجتماعية	إهمال التغير
البنوية	ليفني-ستروس	بنى عقلية مشتركة	تجريدية عالية
الرمزية	غيرتز، تيرنر	المعاني الرمزية للثقافة	ذاتية التأويل
الماركسية الجديدة	وولف، غودلييه	علاقة البنية الاقتصادية بالثقافة	تقليل الرموز والمعاني
ما بعد الحداثة	كليفورد، ماركوس	نقد الخطاب الأنثروبولوجي	فقدان المعايير العلمية

اقتباسات: "كل ثقافة هي نظام معقد من الرموز التي يفسرها الإنسان ليبنى بها عالمه (Victor Turner (1967".

"الأنثروبولوجي لا يكتشف الثقافة بل يشارك في إنتاجها عبر السرد (James Clifford (1986".

: الاتجاهات و النظريات الكبرى في الانثروبولوجيا اولى جدع مشترك علوم اجتماعية الاستاذة بن شراط نجاه  
“المجتمع ليس كياناً متجانساً، بل حقل صراع طبقي ورمزي(1982) Eric Wolf.”  
“الثقافة العربية فضاء من الرموز المتنازعة، حيث تلتقي الموروثات الدينية بالحدثة السياسية.” نادر كاظم (2010)